الجندر: المفهوم ـ تطوره ـ غاياته ونقده

إعداد: مدثر صلاح محمود محمد علي

المقال الحائز على المركز الأول في دورة أسس ومصادر وتوجهات النسوية

تاريخ النشر: 10 / 05 / 2022م

مقدمة:

إن وقائع محاولة تنظيم العالم تحت هيمنة دولية غربية في أساسها، وأمريكية في صدارتها تؤكد أن المقصود من النظام العولمي الجديد هو توحيد نمط العالم على غرار قيم الغرب، و لذلك فإن الغرب ممثلا في دوله ومؤسساته و الأمم المتحدة يختار بعض القضايا التي يبدأ بها عملية تغريب العالم. وقع الإختيار علي قضية المرأه كقضية مركزية، و باعتبارها مركز الأسرة والأخيرة مركز المجتمع و الأخير هو لب الحضارات و جوهرها، وبالتالي تكون عملية تفكيك القيم و الأيديولوجيات سهلة بعد تفكيك مركزية المركز وتمييع لب الجوهر «المرأه».

المفهوم والتطور:

بالرغم من ان الدراسات التي نالها هذا المصطلح منذ العقود الماضية عديدة، إلا أنه لا يزال غير محدد التعريف. و يمكن تقريب مفهومه بأنه القوانين التي تحكم توقعات أدوار الأشخاص في المجتمع و مدى تعلقها بجنسهم ذكورا وإناثا. بعبارات أخرى، هل للرجل - بما هو ذكر - أدوار إجتماعية معروفة و متوقعة؟ وهل للمرأه - بماهي أنثي - أدوار مناظرة؟.

ظهرت بواكير فكرة الجندر في دراسات فترة ما بعد الحرب العالمية الأولي، و لعل أوائل تلك الدراسات ما قدمته عالمة الأنثروبولوجيا مارجريت ميد في كتابها (سن البلوغ في ساموا) عام ١٩٢٨م، حيث رصدت

الإختلافات بين طرق التنشئة في المجتمع الأمريكي و بين نظائرها في جزيرة ساموا، و أشارت إلى أفعال قد يقوم بها الرجال رغم أنها تعتبر « أفعالاً أنثوية » بالنسبة لمجتمعاتأخرى.

أما عن التطور في نظرية الجندر، فسوف أبين هذا التطور من خلال عقد مقارنة بين رؤية الفيلسوفة الشهيرة سيمون دي بوفوار لمفهوم الجندر وما ينبغي أن تفعله النساء، و ما آلت إليه الأمور بعد ذلك فيما يسمي بما بعد النسوية اعتمادا على رؤية الفيلسوفة الشهيرة جوديث بتلر باعتبارها واحدة من أبرز رواد هذا الإتجاه.

أفضل ما يبدأ به في التوضيح لرؤية سيمون دي بوفوار لمفهوم الجندر هو مقولتها المشهورة « المرأة لا تولد مرأة، بل تصبح كذلك »، نفت بوفوار أن المرأه تولد مرأة، وقالت: بل تصبح كذلك، وأقرت - بل و أكدت أنها تولد أنثي، وأرجعت صيرورتها من أنثي لها خصائص بيولوجية معينة إلى امرأه لها أدوار إجتماعية معينة إلى البناء التاريخي و الإجتماعي. و في هذا الإطار أنكرت القوالب النمطية التي توضع فيها النساء باعتبارها نماذج فريدة بحسب ما يحكم به الرجال. و رأت أن هذه الصورة النمطية ما هي إلا تمثلات خيالية فرضتها السلطة الذكورية، فالواقع الاجتماعي « يحصر المرأه في المطبخ او المخدع ثم يشكو من ضيق أفقها، ويقص أجنحتها ثم يحتقرها لأنها لا تستطيع الطيران ». و عليه فإن المرأه بإمكانها -بمزيد من النضال - أن تتحرر من تلك القوالب شيئا فشيئا حتي تتمتع بكافة الحقوق التي يتمتع بها الرجل - فتتحول من مرحلة «إعادة الإنتاج» إلى «الإنتاج».

من ما تجدر الإشارة إليه في ختام توضيح رؤية بوفوار لمفهوم الجندر، انها كانت تري في الرجال فئه مقابلة و ليس عدواً، كما تطالب الرجل بمد يد العون إلي المرأه حتي تنال تحررها الإجتماعي و الإقتصادي. وكما أنها أيضا تدعوا إلى إقرار المرأه بالإبقاء على إرتباطها بالرجل إذا تحققت لها تلك المساواة الكاملة قائله: « إن الرجل في الحقيقة لا يفقد شيئا إذا كف عن التعمية، وأقلع عن إخفاء المرأه تحت الطلاسم و الرموز. كما أن تجربته لا يحل بها الفقر إذا رأى في المرأه كائنة إنسانية. ولا يعني ذلك إلغاء الشعر و الحب و التخلي عن الاحلام، بل يكون من نتيجته إرساء التصرفات و الأحاسيس على أسس واقعية حقيقية».

أما رؤية جوديث بتلر لمفهوم الجندر فقد أسستها بتلر اعتمادا علي نظريتها (المسماة بالأدائية)، والتي تفترض أن الجندر عبارة عن سلسلة من الأداءات، و من خلال إستحضار بتلر لنظريات الفعل و أفعال الكلام و الظاهراتية، تشير إلى أن هنالك استخداماً أكثر جذرية لمذاهب التكوين يتخذ الفاعل الإجتماعي موضوعاً للفعل وليس ذاتا له. ومن خلال استحضارها للاستعارة المسرحية، ترى أن الأفعال التي يكون الجندر من خلالها تبدي ضروب شبه مع الأفعال الأدائية في السياقات المسرحية. و لكنها أفعال غير مسبوقة بوجود الذات، بل هي تكون الذات وتتكون من خلالها. و بناء عليه فإن بتلر تري أن الجندر لا ينفك عن التكوين و أنه في حالة من البناء المستمر، او على حد تعبيرها: « فإن الواقع الجندري أدائي على النحو الذي يعني بكل بساطة أنه ليس واقعيا إلا بقدر ما يؤدي ». و بذلك تصبح مصطلحات مثل الرجل أو المرأه لدى بتلر ملتبسة للغاية، لأنها ليست أوضاعا يمكن الوصول إليها ولكنها بدلا من ذلك تتشكل تباعاً.

الغاية من نظرية الجندر:

من الملاحظ أن مؤتمرات المرأه العالمية الكبرى - مثل مؤتمر بكين - تحرص على إبقاء مصطلح الجندر بدون تعريف تماما مثل مفهوم الإرهاب الذي يستخدم للنيل من مقومات الأمة الأسلامية عقيدةً و منهجا وسلوكاً، وفق عمومية المفهوم الذي يخضع حاليا ً لعصابة البيت الأبيض فيعتبرون المقاومة ضد العدو إرهاباً.

ولعل المراد بعمومية مصطلح الجندر هو التماشي مع سيولة مفاهيم و قيم عالم اليوم، عالم ما بعد الحداثة، ذلك من أجل الإعتراف وإعطاء الحقوق بممارسة الشذوذ و قبول الأشكال المختلفة للأسرة مثل الأسرة ذات الجنس الواحد(رجلين، امرأتين، رجل واحد، مرأه واحدة) و حق الشخص في تحديد هويتة الجندرية (أي تغيير جنسه) دون قيود والسماح بالممارسات الجنسية المتنوعة للشباب و الصغار بدون تقييد بأطر الزواج. كما تهدف نظرية الجندر أيضا إلى إلغاء الدور الأمومي للمرأه، والذي بدوره يهدف إلى تفكيك الأسرة التي هي نواة المجتمع و لب حضارته، حيث تقول أوكلي: « إن الإمومة خرافة ولا يوجد غريزة للإمومة، إنما ثقافة المجتمع هي التي تصنع هذة الغريزة ». ولهذا نجد أن الأمومة تعتبر وظيفة إجتماعية كما جاءت في المادة الخامسة من إتفاقية سيداو، و في هذة المادة تطالب الإتفاقية و بشدة بتغيير الأنماط الاجتماعية و الثقافية لدور كل من الرجل و المرأه بهدف تحقيق القضاء علي التحيزات والعادات العرفية.

نقد نظرية الجندر:

من الإنتقادات التي توجه للنسوية البوفوارية أنها تحسد الرجل وتدعو إلى تقليده. أما جوديث بتلر فأبرز ما وجه إليها من النقد هو أنها تزيح المرأه كهدف يجب الدفاع عنه، ولعل إنكارها للجنس هذا ضرب النسوية في مقتل، لأنه إذا لم يكن لا وجود للإناث، فعن حقوق من نافح النسويات من الأساس؟ وكيف يمكن تبرير العمل الاجتماعي ضمن ظروف محكومة بسيالية هوية المرأه؟ و بناء على هذا فقد رأت بعض النسويات من أمثال آن فليبس أن دخول أفكار التفكيك و ما بعد الحداثة على الفكر النسوي أدى إلى عواقب وخيمة قوضت هذا الفكر ذاته، بينما سعت أخريات إلى إيجاد طرق للموازنة بين هذة الأفكار و بين النسوية بتقديم رؤى أكثر توسطة وإعتدالا.

خاتمة:

حاولت في هذة المقالة أن أقدم عرضا موجزة مقارنا مبيناً تطور نظرية الجندر في تصور أشهر فيلسوفتين و أعمقهما أثرا فيما يتعلق بالتنظير الجندري، توضيح الغاية من نظرية الجندر و نقدها، و آمل أن تسهم هذه المقالة في ضبط تصور ما رمت إليه. ولعل سبب إختياري لهما هو تبين حركة الحقوق النسوية من مرحلة الحداثة وهي مرحلة سيادة العقلانية و تأكيد مركزية الانسان في الكون (تصور سيمون دي بوفوار)، إلى مرحلة ما بعد الحداثة و هي مرحلة ذوبان هذه المفاهيم و إزاحة الإنسان عن المركز وتفكيكه ونزع القداسة عنه (تصور جوديث بتلر). ويجدر التنبيه أنه عند نشأة اتجاه ما لا يعني بالضرورة إنتهاء فكرة و إبتداء أخري. فما زالت فئات من النسويات تعمل وفقا للتنظير البوفواري، وما زالت نسويات أخريات يبدين نوعامن الانسجام و يمددن أيديهن للرجال طلبا للمشاركة في الإصلاح الجماعي.

المصادر:

- مقال الجندر من النسوية إلى ما بعد النسوية (من سيمون دي بوفوار إلي جوديث بتلر) أ. زينب صلاح.

- مقال الجندر المفهوم والغاية. د. نورة السعد. - دراسة تحليلية نقدية للفلسفة الجندرية.أ. بغورة جمال الدين.

- نسويات بلاسمات (في نقد الخطاب النسوي و الحراك النسوي المعاصر).أ. تقي كمال الدين.